طبيعة فلسفة الأخلاق في الفكر الشرقي القديم

La nature de la philosophie de l'éthique dans la pensée orientale antique

بوعبزة أحمد	برادي عبد الرحمان
أستاذ مساعد أ	أستاذ مساعد أ
المركز الجامعي تمنراست	المركز الجامعي تمنراست
البريد الإلكتروني:	البريد الإلكتروني:
hmedbouabza@yahoo.com	b11.abderrahmane@gmail.com

ملخص

نهدف من خلال مقالنا هذا إبراز دور الفلاسفة والمفكرين في تحليلهم للقيم والأخلاق الإنسانية، وذلك من خلال ما تحمله الشعوب من أنماط قيمية وأخلاقية متعددة، والتي كانت وليدة تطور مستمر ومتواصل ومترابط بين مختلف الحضارات والأعراق، فقد اتصل الإغريق في عصورهم الأولى بكثير من حضارات الشرق القديمة منها المصرية والبوذية والكونفوشيوسية وغيرها من الحضارات المتزامنة مع نشأة حضارتهم، ما شكل تنوع وتقاطع ثقافي وقيمي بين مختلف الشعوب، كما نسعى إلى معرفة واستنتاج القواسم والتقاطعات المشتركة بين مختلف الحضارات القديمة (المصرية، والبوذية، والكتفوشيوسية)، من خلال التصورات البنائية للقيم والأخلاق وما تمثله من أهمية في حياة الشعوب .

الكلمات المفتاحية: القيم، الأخلاق، الحضارات القديمة، العقيدة البوذية

Résumé

le but de cet article est de déterminer le rôle des philosophes et des penseurs dans leur analyse des valeurs humaines et de l'éthique à travers différentes valeurs éthiques, qui a été le résultat d'une évolution continue entre les différentes civilisations et les races, ils ont été contactés par les Grecs dans la première fête beaucoup d'anciens Civilisations, Pharaonique ,le bouddhisme, le confucianisme et d'autres civilisations Qui a été synchronisé avec elle, que l'émergence de la civilisation, Ce qui constituait une diversité culturelle et morale entre les différents peuples, Comme nous cherchons à savoir et connaître et en déduire les points communs et les Similitudes entre les différentes civilisations anciennes (Egypte, le bouddhisme, Ketvoiusah), à travers les perceptions structurelles des valeurs et seulement Mise en place pour ce qu'elle représente une importance dans la vie des gens.

Les Mots clés : valeurs, éthique, civilisations anciennes, credo bouddhiste

مقدمة:

عرفت الشعوب الشرقية في العصور القديمة كثيرا من المعارف والآراء التي لها خطرها في الطبيعة والدين والأخلاق، كما أن اليونان اتصلوا في عصورهم الأولى بكثير من حضارات الشرق كالديانة المصرية القديمة ووصايا التوراة والكونفشيوسية والبوذية، وأدل دليل على ذلك شهادة اليونان أنفسهم.

فها هو ديودور الصقلي المؤرخ اليوناني الذي زار مصر بين عامي (60 – 57 ق-م) يذكر لنا علماء اليونان وأدبائها وفلاسفتها الذين زاروا مصر من بينهم شاعر اليونان الأشهر هوميروس، وليكورغ المشرع الاسبرطي وصولون (640-560 ق-م) واضع قوانين أثينا **(الرحمان، 1995،ص 55).**

إن الأخلاق المصرية وليدة تطور طويل وبطيء ونضج مستمر متواصل لا طفرة فيه، فما كان للإنسان القديم بل ولا الحيوان ان يبقى لحظة واحدة بلا أخلاق وبلا أي قيمة خلقية، والإنسان كما نعلم حيوان أخلاقي بقدر ما هو حيوان ناطق، والحديث عن الأخلاق في تاريخ الشرق القديم حتما ولا ريب سيبدأ مع قدماء المصريين.

أولا-الأخلاق عند قدماء المصريين:

إن الإله عند المصريين هو أصل الحياة الذي لا يعتريه فناء، وهو يتمظهر عن طريق الخلق المستمر لهذا الوجود بدون أن يؤدي ذلك إلى اتحاده مع هذا الكون المترامي الأطراف، ويذهب (جيمس هنري بريستيد James henry Brested 1865-1935م) إلى القول أن " الخلق الإلهي المصري قد نتج عنها صورة من مذهب قومي خاص بوحدة الوجود " **(فضل الله، 1993، ص 76)** ، وهذا الإله فعال ايجابي يبادر إلى الأعمال الخلقية كإغاثة المحتاج....الخ، أما إذا بحثنا عن طبيعة الخلق لوجدنا "أن جميع الأشياء والموجودات كانت في الأصل في قلب الإله وذلك على شكل تصور ، ولم يكن القلب عند المصريين يعني شيئا سوى العقل أو الفكر.

اعتقد بريستيد في كتابه فجر الضمير أن مصر حضارة العالم ومهدها الأول، بل في مصر شعر الإنسان لأول مرة بنداء الضمير، ونشا الضمير بمصر وترعرع وبها تكونت الأخلاق النفسية **(بريستيد، ص 03)**.

وعلى الرغم من ان الإنسان أقدم المخلوقات صنعا للآلات والأسلحة الفتاكة منذ زمن قديم، إلا أن الضمير لم يبرز في شكل قوة اجتماعية إلا منذ مدة لا تزيد على خمسة ألاف سنة.

وأساس تقدم حياة الإنسان هي نشوء المبادئ الخلقية وظهور عنصر الأخلاق، يقول بريستيد معلق على الوصايا العشر التي حفظها في طفولته مع الصبية وتعلم أن يحترمها لأنها أنزلت من السماء: "إن المصريين القدماء كان لهم مقياس خلقي أسمى بكثير من الوصايا العشر، وهذا المقياس قد ظهر قبل أن تكتب تلك الوصايا بألف سنة، بحيث وضعت الأخلاق في أي صورة من الصور تحت حماية الدين ولقد عد الظلم في كل عصور مصر رذيلة في نظر الآلهة، ويعتبر إله الشمس ممثلا للعدالة فهو القائل: قل الصدق وافعل ما يقتضيه فهو العظيم القوي.

وأكثر من ذلك اعتقد المصريون القدامى أن حظ الميت متوقف على طريقة سلوكه خلال حياته "وعلى كل فرد أن يثبت أمام الاثنين والأربعين قاضيا للموتى انه لم يرتكب إثما قط، وهذه الجرائم تتمثل في القتل والتحريض عليه والسرقة والغش والتزوير والفسق والزنا وعلى الإنسان ألا يكذب وألا يغتاب، وألا يتحسس من وراء الباب، وألا يهلك نفسه فيما لا يجدي من أسى، وألا يعوق الماء الجاري أثناء الفيضان وألا يعتدي على حيوانات أو اسماك أو طيور الآلهة، وألا يسرق الأطعمة من المعابد أو المقابر **(بريستيد، مرجع سابق، ص 10)**.

وإذا ما تحدثت عن الفضيلة عند قدماء المصريين لوجدناها تتمثل في عمل الخير، وصور هذا الخير مختلفة ومتنوعة "كإعطاء الخبز للجائع، والماء للعطشان والملبس للعاري، ومن يعجز عن عبور النهر يساعد على عبوره في القارب الشخصي، ويهدى إلى

السبيل السوي من ضل.... والرجل الطيب هو ابن للمسنين وأخ للمطلق، وزوج للأرملة، وأب لليتيم.... هو كساء لمن يقرضه الصقيع، وملجأ من الريح، هو للمريض مرضع أو ممرض.

ومن تعاليم المصريين القدماء أن يتجنب المرء الألفاظ الساقطة، وألا يتكبر بسبب ما تعلمه من علم، ولا يحتقر الأفراد إذا ما رفعه الملك، وألا يبخل لان البخل عيب قبيح، وعلى الفرد أن يحب زوجه وان يفعل لها كل الخير الذي يستطيع أن يفعله، وعلى الفرد كذلك أن يحترس من المرأة الأجنبية الغير معروفة في بلدها لا تبادلها النظرات وهذه الأخيرة خطيئة عظمى، ومن الأحسن أن تبكر في الزواج لتنجب أطفال كثيرون، وان تعيد لامك كل ما فعلته من أجلك بإعطائها كل الخير.

ومن مبادئ المصريين الوقار حين مناولة الطعام، والاحتراس من كشف الأسرار وقلة الكلام، أما الفضيلة الأساسية للفرد هي الحشمة والحياء.

إن هذه الفضائل عبر عليها (بتاح حتب) في أيامه الأخيرة من حياته واختار أن يقلد الأب الحكيم المحب الموجود في السماء، يؤمن بأن العقاب البدني يحث على الفضيلة ويتضح ذلك في قوله : "إن قانون السماء والأرض هو أن نتعلم عن طريق التألم والمعاناة ، فقد بدأ الناس حياتهم كالوحوش ولم يتعلموا كيف يصبحون آدميين إلا خلال عملية بطيئة مؤلمة ، وكل طفل في بدء تطوره ليس إلا حيوانا أعجم تقريبا، والنتيجة المترتبة على ذلك انه إذا أهملت العصا فسد الطفل فيجب أن يتعلم الطفل كيف يطيع السوط تماما كالحصان الجموح **(توماس، 1946، ص 05).**

وبذلك يبدو في نظر (بتاح حتب) أن أذان الأطفال في ظهورهم والضرب أحسن درس لهم، أما الجانب الأخلاقي فيصوره (بتاح حتب) في قوله: "لا تزه بمعرفتك، ولا تحسبن نفسك عالما، تحدث إلى الجاهل كما تتحدث إلى العالم على السواء، فعليكم أن تتعلموا الكثير بعضكم من بعض...لا تتحدث بخشونة أو تسرع، واحذر من أن تخلق أعداء

بكلماتك، لا تتجاوز الصدق، ولا تفش كلمات قد اؤتمنت على سماعها سواء كان المتحدث فلاحا أم أميرا، وسرد القصص في غير موضعها بغيض إلى النفس".

وهذه صورة الرجل الحكيم التي تذكرنا بالصورة التي رسمها ارسطو Aristote (384ق-م-322ق-م) للرجل الدمث الأخلاقي أو الرجل الكامل، فينصح (بتاح) على أن تختط لنفسك طريقا متزنا بين عواصف الحياة، ولا تدع شيئا يقلب اتزان شخصيتك لان الشخصية الصالحة هي أغلى هدية في الوجود.

من هنا يتضح لنا أن الفكر الأخلاقي عند المصريين القدماء فعلا مجال خصب يثير الإعجاب، وقد أثار إعجاب العبرانيين فاقتبسوا منه الشيء الكثير أضافوه لأسفارهم المقدسة الشيء الذي أدى بالشيخ محمد أبو زهرة (1898م-1974م) إلى القول: "إن الآداب التي اشتمل عليها الفكر المصري والفضائل الخلقية التي تدعوا إليها كانت معينا خصبا، أخذت منه الديانات غير المنزلة وحكمة الحكماء شيئا كثيرا لأنها لم تخل من خير يقتبس وحكمة تنتقص **(الشرقاوي،1990 ص36).**

الشيء الذي أدى بالعالم (بريستيد) إلى الكشف عن حقيقة ثابتة وهي التوازن بين الواقع الخلقي والقوة المادية في حياة المصريين، وتحقيق هذه القوة أعظم أمر لأن الفضائل الخلقية الرفيعة كانت ذائعة في هذا المجتمع ومن هذه النماذج الأخلاقية:

1-إني لا أقول كذبا لأني كنت إنسانا محبوبا من والده، ممدوحا من والدته، حسن السلوك مع أخيه ودودا مع أخته.

2-إذا أردت أن يكون خلقك محمودا وان تحرر نفسك من كل قبيح فاحذر الشراهة، لأنها مرض عضال لا يرجى شفاؤه والصداقة معها مستحيلة لأنها تجعل الصديق العذب مرا.

3-إذا كنت حاكما تصدر الأوامر للشعب فابحث لنفسك عن كل سابقة حسنة حتى تستمر أوامرك ثابتة لا غبار عليها.

4-إن الحق جميل وقيمته خالدة ولم يتزحزح من مكانه منذ خلق لان العقاب يحل بمن يعبث بقوانينه.

.ومن النماذج الأخلاقية كذلك ما صاغه (امينوبي) من وصايا لابنه:

1. لا تنم في الليل وأنت خائف من الغد.

2-الله يحب الذي يدخل السرور على قلب المسكين أكثر من الذي يحترم الرجل العظيم.

3-لا تضحك من رجل أعمى، ولا تهزا بقزم.

ثانيا-الأخلاق في العقيدة البوذية:

من المعروف أن الأخلاق البوذية ترتبط بحياة مؤلفها لذلك "انبعثت هذه العقيدة البوذية من شمال الهند، من إقليم نبال حيث كانت تقطن قبائل (الساكيا)، وكان باعثها حكيم من الحكماء من أصل نبيل إذ كان والده يحمل لقب (راجا)، وقد أطلق عليه بعد أن أعلن مذهبه اسم (بوذا) والتي تعني الملهم أو العارف بالحقائق أو صاحب الإشراق **(بدوي، 2000، ص23).**

كما صرف بوذا (558 ق-م – 483ق-م) جل اهتمامه لحل مشكلات الناس وآلامهم، وكانت تسير دعوته في الحقيقة على خط الإصلاح الاجتماعي والحياة العملية للبشر سعيا لإسعادهم، ولكنه "لم يصرف جهدا في موضوعات دينية بحتة رغم انه صنف نفسه في موقع معاد للهندوكية، فالمهم عنده ليس معرفة الله والكون وإنما أن يتصف الإنسان بالإيثار وحب الإحسان للآخرين **(السحمراني، 1988،ص 58)**

إن بوذا ظل بين الناس ليعرفهم بالحقيقة التي وصل إليها وهي أن الخلاص ليس في الموت كما كان يعتقد أولا، فبالموت لا يخلص الإنسان إلا نفسه، ولكن رسالته الحقيقية العمل على خلاص الآخرين يا من خلصت نفسك اعمل على خلاص الآخرين، وإذا كنت قد وصلت إلى شاطئ الأمان فساعد الآخرين على أن يعبروا **(بدوي: مرجع السابق، ص24).**

إن المذهب الأخلاقي البوذي ينحصر في الطريق الوسط لتحقيق السعادة، وهذا ما اقره كذلك أرسطو في فلسفته واعتبر أن سر الحياة الأخلاقية يكمن في تحقيق الوسط العادل، وهذا الوسط يعبر عليه بوذا في قوله: "هناك طرفان يجب على كل من يريد أن

يحيا حياة روحية أن يبتعد عنهما، أحدهما حياة اللهو وهي وضيعة تافهة ومخالفة للعقل، والآخر حياة الزهد والحرمان وهي كئيبة لا طائل تحتها، والحكيم من يكتشف الطريق الذي يمر بين هذين الطرفين وهو الطريق الذي يسر النظر والعقل، ويؤدي إلى النيرفانا أي إلى الطمأنينة والسلام".

فالبوذية قامت على الاهتمام بالجانب العملي السلوكي، وإخضاع النفس لضوابط وقيود تهدف إلى قمع الشهوات وتطهير النفس وهذا ما يجعلنا نؤكد أن عقيدة بوذا عبارة عن مبادئ خلقية ودعوة قائمة على إصلاح النفس بالتأمل وتربية الخلق بالتهذيب والعمل، لذلك لم يأمر بعبادة ولم يقم معابد ولا هياكل، وليس في عقيدته أو دينه قساوسة ولا رهبان ولا رجال دين ولا ناس لهم قداسة خاصة **(السحمراني: المرجع السابق، ص59)**.

إن النفس عند بوذا تطمح إلى الطهارة حتى تكون سامية لتندمج في اللانهائي الذي هو مجمع الأرواح، وهذا الاندماج للروح بالطهارة لا يحصل إلا بقهر الشهوات والتغلب عليها وهو ما يعرف عند بوذا بالنيرفانا أو دار السلام والعمل الصالح في البوذية هو تطهير الباطن من حب النفس، و الشح والحقد، والغلظة والشهوة والغضب ، كما انه غض البصر عن عيوب الناس ، و التأسي بهم في أحزانهم و أوجاعهم و الأخذ بالتقوى في شعابها المتعددة ، والامتناع عن قتل الروح وعن سلب أموال الناس والنظر إلى نسائهم ، وعن قول الزور ، وعن شرب المسكرات **(سعفان، 1999، ص 215)**.

ويمكن أن نلخص المذهب البوذي بالرجوع إلى الحقائق الأربعة المقدسة وهي:

1-الألم موجود في الشيخوخة والمرض والموت ومتاعب الحياة من فراق أحبة أو لقاء أعداء.

2-أسباب الألم ناشئة عن الشهوات والرغبات "أيها الأتباع ها كم الحقيقة المقدسة عن أصل الألم انه التعطش لكل ما يتصل بالوجود، لأن هذا التعطش يصاحبه تطلع لما عند الآخرين، انه التعطش للملذات والتعطش للجاه والسلطان"**(بدوي، مرجع السابق، ص27)**.

3-بطلان هذه الأسباب متى بطلت الشهوة والتخلص منها وعدم السماح لها بالسيطرة على نفوسنا.

4-طريق السعادة يعرف بالطريق الثماني النبيل، والذي يتضمن درجتين من الحكمة وأربع درجات من الأخلاق ودرجتين من التأمل.

والطريق الثماني النبيل يبين لنا ان البوذية ليست أكثر من فلسفة أخلاقية أقامها بوذا على مبدأ الوسطية وهي:

1-سلامة الرأي: وتكون بالهدوء الدائم وعدم الاستسلام للفرح أو الحزن.

2-سلامة النية: وتكون كذلك بالهدوء الدائم، وعدم إيذاء أي أحد.

3-سلامة القول: وهذا المبدأ الثالث يكون بالابتعاد وترك الكذب والنميمة.

4-سلامة الفعل: ويكون هذا المبدأ بالابتعاد عن الأعمال السيئة وعن أخذ السلع المسروقة، وعن اغتصاب المرء ما ليس له.

5-سلامة العيش: ويكون بالابتعاد عن السرقة والقتل وفعل ما يأسف له المرء، أو يخجل منه.

6-سلامة الجهد: ويكون هذا المبدأ في السعي إلى الخير والابتعاد عن الشر.

7-سلامة الوعي أو الانتباه العقلي: ويكون بإتباع الحقيقة لأنها تهدي المرء.

8-سلامة التركيز: ويكون إلا بإتباع القواعد السابقة وبلوغ الإنسان مرحلة السلام الكامل.

إن الهدف من هذه المبادئ الثمانية هو "تحقيق حياة مستقيمة من أسمى طراز وإدراك العلاقات بين التصرفات الحياتية والمبادئ التي تشكل أساس هذه التصرفات من خلال تأمل الحقائق الثلاث الخاصة بالسلوك الأخلاقي والانضباط الذهني، والحكمة التي تشكل أساس المبادئ والتصرفات **(جون، 1995، ص 188)**.

فالفضائل كما قلنا سابقا تطهر النفس وتجعلها سامية، والشهوات تعكر استقرارها ولا تتمر سوى الآلام فكل لذة تحمل سمها في طياتها، ولبلوغ السعادة لابد من إتباع خمس قواعد وصفها بوذا أنها أساس العمل الأخلاقي وهي: لا يقتلن أحدا كائنا حيا، ولا

يأخذن أحد ما لم يعطه، ولا يقولن أحدا كذبا، ولا يشربن أحدا مسكرا، ولا يقيمن أحدا على دنس.

بل وأضاف بوذا قاعدة أخلاقية اجتماعية تقوم على مواجهة الخطأ بالعمل الفاضل وهذا يتضح في قوله: "على الإنسان أن يتغلب على غضبه بالشفقة، وان يزيل الشر بالخير، إن النصر يولد المقت لان المهزوم في شقاء، وان الكراهية يستحيل عليها في هذه الدنيا أن تزول بكراهية مثلها...إنما تزول الكراهية بالحب

وفي نهاية حديثي عن الأخلاق البوذية أريد ان انوه إلى نقطة مهمة وهي أن القواعد البوذية تقترب كثيرا مما ورد في الديانة المسيحية و الإسلامية ، ولكن بينهما و بين البوذية هو أن الديانات السماوية تحث على عمل الخير للتقرب إلى الله، أما البوذية فتحث على خلاص الإنسان من رقبة الشهوات و الوصول إلى حالة السلام و الطمأنينة، و ما علينا الآن إلا أن نؤكد "أن المذهب البوذي في الأخلاق ذو طابع سلبي ، لأنه يقوم على نفي كل قيمة للأشياء الدنيوية و على جعل التأمل الذاتي شرطا أساسيا للوصول إلى الخلاص أو سعادة النفس، وجميع تفاصيله تقريبا تقوم على نواهي لا على أوامر ايجابية، بمعنى انه يأمر الإنسان بالا يفعل الشر أكثر من أن يأمره بفعل الخير(**أبو الفتوح احمد، 2000، 59**).

ثالثا-الأخلاق الكونفشيوسية:

وكما رأينا سابقا مع المصريين القدماء والبوذية هناك فلسفة أخلاقية خصبة متنوعة، كذلك الشيء بالنسبة للصينيين القدماء، فقد تميز العقل الصيني بمعالجة مسائل فلسفية دقيقة متنوعة مثل: أصل الكون، والطبيعة الإنسانية...ومبادئ الأخلاق، وهذه المبادئ تحفظ الكيان الصيني لقرون عديدة.

وللحديث في الجانب الأخلاقي لدى الصينيين يكون بطبيعة الحال عن نزعة فيلسوف الصين الأشهر كونفشيوس (551ق-م –479ق-م)، والذي يهدف من وراء نسقه الأخلاقي "تحقيق غاية هي الوصول بالفرد إلى أعلى درجات الكمال الإنساني، وبالضبط الوصول

إلى (chuntzu) الرجل النبيل، الذي يريد لنفسه النجاح ليكافح من اجل نجاح الآخرين، ويحقق المبدأ لسلوكه تجاه الآخرين بالفضيلة الحقيقية.

إن النظام الأخلاقي الكونفشيوسي يستند إلى إمعان الفكر في الطبيعة البشرية والنظر إلى الفرد داخل مجتمعه، كما إن كونفشيوس لا يرى في المجتمع نوعا من الذاتية الميتافيزيقية تجب الفرد من الوجود ذلك لاعتناقه مبدأين هما:

1-إن الناس بالضرورة كائنات اجتماعية، لان المجتمع هو الذي صاغه إلى حد كبير على الصورة التي هم فيها، والمجتمع من ناحية أخرى يتألف من حشود أفعال يقوم بها الأفراد كل وفقا لاستعداده، وتتحدد علاقات أعضاء المجتمع وفقا لأفعالهم (شبل، ص 74)

2-لا يمكن للفرد أن ينسحب من المجتمع لان الانسحاب من المجتمع فعل شاذ، وإذا أراد الفرد أن ينسحب من المجتمع صده ضميره عن ذلك.

ومن خلال هذين المبدأين يؤكد كونفشيوس على الإنسان ألا يكون بعيدا عن متناول فهم المجتمع، وألا يتمرد على عادات هذا المجتمع وتقاليده حتى ولو لم تكن تتناسب مع منحاه الخلقي، بل يقع على عاتقه عبء هداية المجتمع إلى الصواب وحمله على السير في الاتجاه السليم، وإذا اتفقت عادات المجتمع وتقاليده مع العقل فعليه مسايرته من باب العادة التي تربط أجزاء المجتمع بعضه إلى البعض برباط متين.

نعم يتضح لنا أن كونفشيوس صرف الأنظار عن الميتافيزيقا وخوارق الطبيعة والغيبيات، ووجه الأذهان إلى المجتمع البشري ورعاية إنسانية المرء، وتنظيم كل الأنشطة بحسب هذه الإنسانية المتطورة هذا ما عبرت عليه أحد النصوص الكونفشيوسية في قوله كان القدماء الذين يرغبون في إبراز شخصيتهم النقية للعالم يعمدون أولا إلى نشر النظام في دولهم، والذين رغبوا في نشر النظام في دولهم كانوا ينظمون عائلاتهم أولا، والذين رغبوا في تنظيم عائلاتهم كانوا يرعون حياتهم الخاصة أولا **(جون، المرجع السابق، ص312).**

وقد كان يؤمن كذلك أن في بعض الأحيان يمكن للإنسان ان يحمي نفسه باستخدام القوة من أولئك الذين يرون أن القوة هي حجتهم الوحيدة، ولكن هذه القوة في نظر كونفشيوس هي الملجأ الأخير الذي يكون تابعا للمستوى الكمالي والشخصي "إذا ما أحسست بقلبي أنني مخطئ وجب على أن أقف خائفا حتى لو كان خصمي اقل الناس قوة، ولكنني لو أحسست بقلبي أنني على صواب أسير قدما حتى لو كنت سأواجه ألافا أو عشرات الآلاف" **(سليم، 1998، ص 44).**

إن الفرد كائن أخلاقي في المقام الأول لذلك كانت نقطة الانطلاق الأولى لكونفشيوس لأنه يعتقد أن الخير جبلي في أعماق النفس الإنسانية، أي أن الفرد خير بطبعه واصل فطرته، مما يؤدي ذلك إلى أن الشر بعيد أو انحرافا عن الطبيعة الإنسانية، إن الناس يولدون خيرين سواسية بطبيعتهم، لكنهم كلما شبوا اختلف الواحد منهم عن الأخر تدريجيا وفق ما يكتسب من عادات **(الشرقاوي: المرجع السابق، ص50).**

إذن الفضيلة في المفهوم الكونفشيوسي هي "التي تحقق الكمال الإنساني وأنها الفطرة والطبع السليم والمنهاج الذي يتم به التالف والانسجام، فالرجل الكامل الخلق يطلب الفضيلة ويفكر في اجتناب الرذيلة وأداء الواجب ويقف على البر ويستبشر بالماء الجاري، أما الرجل الناقص الخلق يطلب اللذة ويفكر في كسب المنافع ويقف على الربح.

وقد ادخل كونفشيوس مبدأ أخر في الحضارة الصينية وهو مبدأ /لي/ الذي أكد عليه ورده باستمرار إن /لي/ الحقيقي يأتي من القلب ويعني 'الأدب'، 'اللباقة'، 'التهذيب'، والأدب والتهذيب استعدادات داخلية بقدر ما هي طرق للسلوك الخارجي**"(براج، 1998، ص 109)**، وفي موضع آخر يقول كونفشيوس بخصوص /لي/: "لا تنظر إلى أي شيء لا يكون /ليا/، لا تصغ إلى أي شيء لا يكون /ليا/، ولا تقول أي شيء لا يكون /ليا/، ولا تقوم بحركة لا تكون /ليا/.

إن طبيعة الفعل الأخلاقي لا تكمن في الفعل ذاته ، بل فيما يترتب عليه من نتائج "اترك ما تملكه من مبادئ تقودك لان تفعل أفضل ما عندك للآخرين عندئذ ستكون

جديرا بالثقة فيما تقوله، وهذا هو الرجل النبيل، وبغض النظر عن نتائج الفعل وما يسببه من لذات وألام أو يحقق منفعة ذاتية، بل الفعل المقصود هنا هو الذي يحقق الغاية العظمى والأبعد من الخيرات والسعادة للآخرين، أي أن المصلحة المرجوة من الفعل هي مصلحة ذات طابع اجتماعي لان المرء كائن اجتماعي لا يستطيع أن يعيش حياته إلا وسط المجموع حيث يقوم بينهم الاتحاد والاحتكاك الذي يجب أن يتم بطرق فاضلة.

ولكي يتمسك المجتمع بالأخلاق الفاضلة في نظر كونفشيوس وجب عليه أن يسلك ثلاث مسالك:

أ-احترام الوالدين والعناية بتماسك الأسرة: والبر بالوالدين في نظر كونفشيوس واجب لأنه يؤدي إلى التضامن الأسري، وهذا ما أكده الإسلام في قوله تبارك وتعالى: "ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا. (الأحقاف، آية رقم15)

وهذا التضامن الأسري يضمن النظام والاستمرار لذلك عندما تسود الألفة بين الزوج وزوجته وأولادهما يشبه المنزل قيثارة وعودا قد تآلفت أنغامهما، وعندما يعيش الإخوة في تالف وسلام حينئذ يظل المجتمع إلى الأبد في وحدة وانسجام.

ب-مسلك التدرج والرفق: "فمن الناس من نستطيع محادثته بالعلم، ولا يمكن أن نحمله على السير معنا بمقتضى الفطرة ومنهم من يكون ذا خلق قويم شديد التمسك بالفطرة والكمال الإنساني، ولكن لا يمكننا مشاورته في تقدير الشؤون **(الشرقاوي، المرجع السابق، ص53)**

ج-القدوة والأسوة: هي العامل الحاسم في الدعوة إلى الأخلاق، فهو يرى أن الرجل الفاضل يستطيع أن يؤثر بسلوكه القويم أكثر من أي بيان مهما تكن بلاغته، ومن غير أن يهتم بالرياء في دعوته، ولقد كان يدعو تلاميذه بأخلاقه العملية كما يدعوهم بكلماته.

خاتمة:

لقد أسهمت الحضارات الإنسانية البائدة (الفرعونية، الإغريقية، والأشورية، الكونفوشيوسية) في إعطاء وترسيخ معنى للقيم والأخلاق الإنسانية في أوجهها المتعددة، كحب الخير والفضيلة، ونبذ كل شر ورذيلة، كما تجلت معاني هذه القيم والخلاق في تحديدها لعنصر فلاح الإنسان في الحياة وبعدها، إذ تعمل هذه القيم على تحقيق التوازن النفسي والمجتمعي للبشرية وتضمن بقائها واستمرارها، وقد كانت لهذه الحضارات أوجه تقاطع في ترسيخها لهذه القيم والأخلاق السامية، إذ رغم الاختلاف في الثقافات والعادات والعقائد الدينية، إلا أنها بقيت راسخة بين الشعوب، وشكلت عوامل القوة والرقي والتطور الإنساني.

قائمة المراجع:

- سورة. الأحقاف. آية 15
- أبو الفتوح احمد هالة. (2000). **فلسفة الأخلاق والسياسة المدينة الفاضلة عند كونفشيوس.** القاهرة: دار قباء للنشر.
- السحمراني اسعد. (1988). **الأخلاق في الإسلام والفلسفة القديمة.** ط1. بيروت. دار النفائس.
- بدوي السيد محمد. (2000). **الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع**. القاهرة. دار المعرفة الجامعية.
- شبل محمد فؤاد(1998). **حكمة الصين.** القاهرة. دار المعارف.
- كولر جون. (1995). **الفكر الشرقي القديم**. القاهرة. عالم المعرفة.
- بريستيد جيمس هنري. **فجر الضمير.** مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- سليم عبد الحميد. (1998). **الفكر الصيني من كونفشيوس إلى ماوتسي تونج.** مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- سعفان كامل. (1999). **موسوعة الأديان القديمة معتقدات أسيوية.** ط1. مصر. دار الندى.
- الشرقاوي محمد عبد الله. (1990). **الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة.** ط1. بيروت. دار الجيل.

- عبد الرحمن مرحبا محمد. (1995). **بدايات الفلسفة الأخلاقية. ط1.** بيروت.
- فضل الله مهدي. (1993). **بدايات التفلسف الإنساني**. ط1. بيروت. دار الطليعة.
- توماس هنري. (1946). **أعلام الفلاسفة.** القاهرة. دار النهضة العربية.
- قان براج هنري. (1998). **حكمة الصين.** ط1. دمشق سوريا. دار الأهالي.